

محمد محمود بن عبد الرحمن
الزعيم المؤيد
(1883، 1960م)

بقلم: البشير بن حبيب.

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وصلى الله على سيد المرسلين

إهداء:

أهدي هذا البحث المتواضع الذي لا يفي العلم المترجم له حقّه، إلى كل من:
ابنه شئنّه، وسبطه عزيز بن محمد باركلل بن كمال، وشيخي المجدد محمد بن
أحمد مسكه، وإلى خالي العزيز الأستاذ البحاثه عبد الودود بن الشيخ بن
أحمد محمود.
أطال الله بقاء الجميع.

توطئة:

أما بعد فقد كنت منذ زمن بصدد إعداد موسوعة بعنوان: "نفض الغبار عن بعض ما لأهل باركل من مآثر وأخبار"، ولا تزال قيد الجمع والإنشاء وتتضمن بين ثناياها لتراجم مستقلة لكافة أعلام مجموعة البركيين من علماء وأولياء وسادة... وارتأيت بعد تأمل أن أنشر منها بُدأً لطيفة بين الفينة والأخرى، بغية إثراء الساحة الثقافية والاستزادة من القراء ليتعاطى معي من شاء منهم ذلك بالتصويب والاستدراك والزيادة.

وقد كنت منذ فترة يسيرة أبحث في تاريخ العلم الألمي محمد محمود¹ (حَمَّ²) بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى.

هذا ولما كان ابن عبد الرحمن، من نوادر الزمان، ولما لم يجد حظه اللائق من التدوين، وهو هو على ما عليه من سوّد و تمكين، فقد انتدبت لمحاولة كتابة عنه ما أنا أهل لها، ولكن عاطفتي تجاهه منعتني من التواني عن ذلك، فقلت، ولا قول لي (كما يقول شيخنا الشيخ محمد المام)، وبالله أقول:

التعريف به (نسبه، مولده، نشأته، ووفاته):

نسبه:

هو محمد محمود (حَمَّ، علماً) بن عبد الرحمن بن أحمد بن البخاري بن مولود بن بارك الله فيه بن أحمد بازيد.³

لأمه: ابني بنت محمد بن ابن عمر بن محمود بن عبد الله بن بارك الله فيه بن أحمد بازيد.⁴

¹— ذكر أحمد مسكه بن العتيق أنه رئيس أهل مولود بن بارك الله فيه. راجع ص8 من تقريره الذي قدمه للإدارة الاستعمارية سنة 1936.

²— بفتح المهملة وتفخيم الميم المفتوحة.

³— موسوعة أنساب أهل باركل.

⁴— المصدر السابق.

ينتمي لقبيلة أهل باركلل الذين ينتهي نسبهم إلى علي الزينبي بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين رضي الله عنه، وأم علي المذكور زينب بنت علي كرم الله وجهه بن أبي طالب، وأمها فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

وقد اشتهر مؤلودُ بالمال والديانة وكثرة العلائق⁵.

وفي مدح ذريته قال المختار بن أبي المعالي اليعقوبي:

وللمروءة في يسر وإعسار

نعم القبيل ونعم الجار للجار

قد كان والده مولود بالعار؟

من كان جدهم مولود أين لمن

سيبُ الفواضل من أيمنهم جار

إني وجدتهم أيام جئتهم

دون السؤال بلاكد وإكدار

من حام حولهم يلقاه نائلهم

بيض وجوههم للجائع العاري

فيهم مقامات أبادر وأندية

يخلفن ما ظنه ذو الفحش والعار

بيض موانع ليلات الدخول بها

لكن دعاني داع غير زوار

هذا وجدك لا أبغي مكافئة

نعم القبيل ونعم الجار للجار

إلى الوداع بأيات مجازية

وفي الجماعات مثل الضيغم الضاري

هو الذي في بني يعقوب مشتهر

عند التجارب أسد غير أغمار⁶

حدث ولا حرج عن مدحهم فهم

⁵— كتاب الأخبار، لمؤلفه الشيخ هارون بن الشيخ سديا.

⁶— "ديوان الشعر الفصيح والحساني من بعض ما قيل في مدح أهل باركلل"، ص 11.

أما البخاري بن مولود: فهو نزيل "الحجر البيظ" بإبنيشيري.⁷ وأحد "البخاريات السبعة" الذين يلتمس البركيون بركاتهم. ومن ذريته: عبد الرحمن بن أحمد بن البخاري وابنه محمد محمود رئيس قومه المعروف.

مولده:

لم أعرف موضع ميلاده المضبوط بعد إلا أنه - حسب القرائن - في أرض ذويه. أما تاريخه فبعد مقارنة الروايات الشفهية المتواترة مع قرائن مكتوبة خلصت إلى أنه لا يمكن أن يكون وُلد بعد 1886/09/29م لأنه يوافق آخر يوم من سنة 1303هـ⁸ تاريخ وفاة الشيخ أحمد يعقوب بن ابن عمر.

فالمتوسط فيما بين 1880 و1885م قد يكون أقرب للصواب، بمعنى أن تاريخ ميلاده في حدود 1883م وأظن - إن لم أكن مخطئاً - أنه هو العام المعروف محلياً بعام النجمة، فإذا قلنا إنه ولد سنة 1300هـ فإن ذلك يوافق النكتة الحسانية المشهورة في ثقافتنا الشعبية التي تقول "فلان راص قرن" (فلان ولد مطلع قرن) ويكثون بها عن علو شأن المولود. ولعلها إن كان لها أصل مستمدة قياساً من قضية المجدد الذي يبعث على رأس كل مائة ليصلح للأمة أمر دينها، والله أعلم.

نشأته:

لم تسعفني المصادر الشفهية المؤسّسة بكثير من تفاصيل هذه المرحلة من عمر المترجم له. ويمكن اختصار زبدة ما لا شك فيه أنه تربى بين أحياء ذويه وخاصة أخواله أهل محمد بن ابن عمر، وهم بيت عز وعلم وصلاح، ولا أظن أنه أدرك من حياة خاله الشيخ أحمد يعقوب ما يوافق سن تمييزه لأنه لم يشتهر عند أهل الرواية فينا أنه أخذ عنه، ولم يعده لي أي مصدر في تلامذته.

⁷ - موسوعة أنساب أهل باركلل.

⁸ - ديوان حبيب الله بن محمد بن محمود، ص 42. وذكر ابن حامد أنها السنة الموالية أي: 1304هـ، انظر الحياة الثقافية، ص 341.

ولا شك أيضا أنه تكون في سن الصبا تلك تكون الرجال العظماء وكأنه يهياً ليكون بطلاً جليداً، فمن ذلك أنه أحرز فيها كفاءة السباحة إذ قال يوماً لابنته فطمة (ديتو): "لقد كوتني أخوالي تكوين الصعاليك الأبطال، فقد كنت في صباي أعوم أمجد الركب⁹". والمتأمل لمرحلة مقاومته يجد أن مثله من الزوايا لم يكن مؤهلاً في الحالة الطبيعية لتكوين عسكر من بني عمومته إلا إذا كان سلفاً قد خبر ركوب الخيل وسباقها والأسلحة ورماتها.... وستاتي في محلها قصة تشهد لهذا وتدل على قوة بنيته وشدة شكيته.

وفاته:

توفي ابن عبد الرحمن سنة 1960م، ولم أستطع تحديد يوم وفاته وشهره بالضبط، إلا أنه كان حياً يوم 1960/07/12م¹⁰. ودفن عند "الظربان" في آوكر.¹¹

حياته الاجتماعية:

تزوج ابن عبد الرحمن عدة زيجات وصل إلى منها زواجه من العزه بنت محمد بن أحمد مسكه (ولعاه زواجه الأول)، وتزوج من ميماء بنت اسيساخ، ومن أم أولاده: ميمونة بنت سيد احمد بن محمد بن البخاري الشريف. وولدت له: سيد احمد، ومحمد البخاري، وبلاه، وأحمد يعقوب، ومحمد شئت، وفاطمة (وعلميتها ديتو).

حياته السياسية:

بلغ محمد محمود بن عبد الرحمن مبلغاً عظيماً من الرياسة والصيت.¹² وكان من رجال البركين الذين لازموا حفر الآبار¹³.

⁹— كذا روى لي عنها سيدي عبد الله بن وديرباله.

¹⁰— لوثيقة وقفت عليها.

¹¹— موسوعة أنساب أهل باركلل.

¹²— ديوان حبيب الله بن محمد بن محمود، ص26.

أما حياته السياسية فيمكن تصنيفها إلى حقتين اثنتين: الأولى مقاومته للمستعمر، والأخرى معاملته معه حتى سنة وفاته عام استقلال البلاد.

مقاومته للاستعمار:

لم يصل إليّ الكثير من تفاصيل هذه المرحلة التي عاشها محمد محمود إبان شبابه، سوى أنه كان في عسكر فيه معه قوم من بني فصيلته أهل مولود¹⁴ ويروي مصدر ثان أن معه فيه رجالا من قبيلة أولاد اللب¹⁵، والممام بن محمد سالم بن ألومين. وكانوا يتناوشون مع النصارى المستعمرين في السلاسل الجبلية المحيطة بأكجوجت وكان يقبل تحت جرف معروف في أقرب هضبة من المدينة¹⁶. ولم يزل كذلك بضعة أعوام حتى راسله محمد بن أحمد مسكه وأقنعه بالتعامل الذي بدأ الواقع حينها يفرضه وكانت أول بداية مهدت الطريق لمعاملته معهم هي حادثة حفر بئر "التومي" وآبار أخري.

مكاتبته للمستعمر:

كانت نقطة هذا التحول بالنسبة لصاحبنا بعيد ما طلب النصارى من باب بن الشيخ سيدي حفر بئر "التومي" المشهور فقال لهم إنه لا يمكن لأي كان حفره إلا أهل باركلل فاتتهز محمد بن أحمد مسكه الفرصة وشرط عليهم ضمن بعض شروط قدمتها لهم الجماعة أن يعفوا عن حم بن عبد الرحمن ويجعلوه رئيسا معتمدا عندهم لأهل مولود بن باركلل، معللا لهم ذلك بأنه لا يمكن أن تحفر هذه الآبار المطلوبة إلا بمشاركة من حمّ (وكان هذا من راحة عقل ابن أحمد مسكه وحسن تدبيره وقوة إدراكه للواقع).

هذا وقد كان المستعمر قبل ذلك وحتى تلك اللحظة يطالب باعتقال حم بل إنه أهدر دمه كما تقول بعض الروايات، ولا أدل للمتأمل من وقفهم هذا منه على علو شأنه وانتشار صيته حينها.

¹³— تاريخ حياة أهل باركلل أخلاقهم وعاداتهم، ص 97.

¹⁴— نقلا عن شيخي العلامة المجدد محمد بن أحمد مسكه.

¹⁵— وهو أحمد محمود بن سالم.

¹⁶— نقلا عن أحمد محمود بن سالم.

يقول المؤرخ أحمد باب بن بودرباله رحمه الله تعالى:

"وكان محمد بن أحمد مسكه من رؤساء أهل باركل الذين تحملوا لمحمد بن المقداد حفر ما بين "تندعمر بيل" و"ينبش" وهن آبار الطريق بين بوتلميت وأطار ومن الغريب أن ابن المقداد وكفر الحاكم الفرنسي طلبا ذلك من باب بن الشيخ سيدي العام الثامن من طلوع فرنسا فقال هذا لا يقدر على حفره إلا أهل باركل فقال هذه المقدره التي عندهم وليست عندك ما هي؟ قال الخوف من جهة أهل الساحل (...). فقال إن حفروها تقدر على عمارتها؟ قال لا يقدر على عمارتها إلا هم، قال يقدرون على حفرها؟ قال نعم (...). ثم دعا أهل باركل وطلبها منهم واستجابوا لها وكان السبب في ذلك أن "الصنك" أي جيشا لهم أفناه العطش بإزاء "التومي" فحفروا اثني عشر بئرا، اثنان في "غشوات انتيكيث" وحفروا "بظربان" وحفروا "واد وزك" وكان غزير الماء جدا، وحفروا "البير لصفز" وكان طويلا جدا لينا جدا صعبا، كثير الماء ولم يحفر بعدهم لصعوبته، وحفروا "انواكل" وحفروا "ابير لكلي" و"أكويليل" وكان قريبا من "أكلال" وكان قليل الماء وأحيوا "أكلال" وحفروا "التوم"، وكان بضعا وثلاثين قامة بمد اليدين فوق الرأس، وحفروا "واد الجذع"¹⁷ وكان أطول منه بقامات أيضا وحفروا "السباعي" وكانت ملحا أجاجا لا يذوقها شيء، وحفروا "آمزيذر" وكان كذلك أيضا.

وفي ذلك قال محمد بن هدار (لقب المختار بن ابراهيم: حركات نسبة إلى بلدة بالمغرب):

النجع ال ما ينزرگ	من فالشسد توم
ينجع امتوم واد ورگ	اواد الجسدع والتوم

وقال أيضا:

نجع ال نكر عودگ	باركلل وال گودگ
فيگ افبائگ واجدودگ	منه ل لطماع امزغ
معلم فالشان ال عودگ	من صايب كبر الكزغ

¹⁷ - التعريف ب آل الشمسية.

والجودُ الّ مزكّب جودكُ
لغليظ ال ج متخوم
والشّعْثانُ أسْمُ مثلثوم
والّ بيكُ الّ لمتوم
بيكُ العزمُ أبيكُ التّوم
ينجعُ الكطاعُ خوفُ الدّم
لعدنُ مُفردُ منكُ يندم
لا بدالٍ من باب الهَم
كطعَ ميّتَ ما نعرَفَ كم
أكطعَ فالبلُ سابتُ لغم
ينجعُ الشكرُ المارِينَ
والبيكُ : الشكرُ الّ بَينَ
من قَصِيدَ واتّهيدينَ

لا أصلُ ل ولا فزع
ما يسلم فيكُ الّ يسع
من عندك بنواع الطمع
من ش رفع زين اfdفع
للتوم والواد الجودع
فالمال وذاك الكطاع تم
وال تنذم منك جمع
امن اربع كطعات اربع
وكطع من لبكر منكطع
لغنم كاع اكبره كطع
ش لاه ينكُ مال اتلين
فيك اص بين من قطع
صبت شكر اثاف اطلع

وقال المختار بن المحبوبي اليدالي الإداجي في تاريخه:
وعام تسعة وعشرين حفر

من آل باركلل للتوم نقر

" إلخ. 18

18- تاريخ حياة أهل باركلل أخلاقهم وعاداتهم، ص 95، 96، 97.

ويوافق هذا الحفر سنة 1911م .

وكان أيضا كثير الوفادات على المشار إليهم من أعلام زمانه من أبناء وطنه كالشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل بن مامين، والشيخ سيديا باب بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا، وقد دون لنا ذلك المؤرخ هارون قائلًا: "ولمحمّد محمود هذا خبر مع الوالد الشَّيْخِ سَيِّدِيَّ باب ربما ذكر في محله إن شاء الله". وذكر في موضع آخر أن له أي محمد محمود: قصة مع الأمير بكار بن اسويد احمد وأنه سأله ما عنده للحرب فقال له عندنا في أرضنا كنزان لا ينفدان ولا نخشى معهما وهما الصبر والجوع. وأقتصر في ضرب المثال من تلك الوفادات على وفادة مشهورة له على الشيخ سعد أبيه، لما اختصت به عن بعض نظيراتها من توثيق.

وفادته على الشيخ سعد بوه:

وقد كانت إثر وفادة سبقتها فيها محمد بن أحمد مسكه، ومحمد بن محض احمد وتروى فيها أحوال صوفية عجبية جمعت الأخير والشيخ سعد أبيه. وقد كتب زبدة هذه القصة¹⁹ الشيخ سعد بوه في وثيقة يوافق تاريخها تقريبا 1911/12/29م، ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على خير الأنيم
هاذا وليعلم الناظر فيه من أهل العلم والدراية والفهم أن ءال بارك الله أسياد الزوايا في بلادهم
أتوني الأول منهم سيد ناديم محمد بن أحمد مسكه (...) وأتى بعده وفد منهم فيه سيد شباهم
وكهولهم محمد محمود بن السيد عبد الرحمن رحمه الله وأكرمه بالأمان وابن عمه عبد القادر بن أحمد
بن محمد ومعهم سيد من أسياد الأسياد ءال ألفاغ موسى وهو العالم الشهير صغير السن كبير الفن
محمد موسى وتحمل لي الجميع بكثير من المال يححف بمثلهم طلبا لمرضاتي ومرضاة الدولة الفرنسية
لما علموا أنهم يهتمون لي ولا يهلون شأني لمن ظلمني من الزوايا وغيرهم فقبلت هذا ورضيته منهم
(...) وسنرضي عنهم النصارى وأخبرهم أني رضيت عنهم غاية وأحبهم بدء ونهاية والسلام.
كتبه سعد بوه بن شيخه الشيخ محمد الفاضل رضي الله عنه
في ثامن المحرم من سنة 1330 ثلاثين وثلاثمائة وألف اهـ.

¹⁹— لي في هذه القصة بسط أعرض في بحث بعنوان: " حذف من حسن علاقات البركيين مع أهل الشيخ محمد فاضل بن مامين". وهو في الأصل رسالة جوابية للبحاثة الأستاذ عبد الودود بن الشيخ، (70 صفحة). لم ينشر بعد في انتظار استيفاء ما أمكن من مادته.

وقد كتب في الشأن ذاته ونفس المعنى القاضي محمد موسى بن احمد²⁰، وكلتا الوثيقتين بجوزة السيد الفاضل محمد بن سيد احمد لحبيب بن محمد بن أحمد مسكه. وقد صورتها من عنده جزاه الله عني وعن المجموعة خيرا.

ومن إنجازات حَمَّ اللامعة المرموقة التي لا يستقيم الحديث عن حياته السياسية إلا بذكرها والتنويه، كونه لَمَّ شتات 69 أسرة من البركيين، وسعى سعيا بالغا في الأمر ذاته في شأن 39 آخر. وقد دامت كل تلك المساعي فيما بين 1912 و1933م، وبعد الأخير بثلاث سنوات أي سنة 1936م وثقت الإدارة الاستعمارية كل تلك المعلومات مفصلة وقد وجدها الباحثة الفرنسي بنيامين أكلوك (Benjamin Acloque) في أرشيف القصر الرئاسي بموريتانيا تحت القيد (E2/135) وراسلني بها مفصلة مبسطة، وما على المستزيد من تفاصيلها إلا أن يراجع الإحالة²¹، من بحث نشره هذا الباحث بتاريخ: 01، دجبر، 2014م، في ملخص أصدره بعنوان:

"De la constitution d'un territoire à sa division: l'adaptation des Ahl Bârikalla aux évolutions sociopolitiques de l'Ouest saharien (XVIIe–XXIe siècles)".

ومع أنه لا شك أنه ابن عبد الرحمن كان طيلة كل تلك المدة مشدود الأزر بإخوانه من بني عمومته الساعين في شؤون العشيرة العامة والخاصة، إلا أن هذا التوثيق الأخير أي يوم 20، دجبر من عام 1936م لم يسجل أنه كان معه منهم إلا أحمدو بن محض احمد بن حبيب.

تقسيم دمان:

اجتمعت في يوم 23 سبتمبر 1952م جماعة من رؤساء أهل باركلل ورجالهم القيمين في مكتب قائد دائرة أكجوجت عند الساعة 30:16 بغية إثبات نهائي لحدود كل فخذ من الحقل الزراعي بدمان. وقد حضر كل من السادة التالية أسماؤهم:

²⁰— وقد حدثني القاضي محمد عبد الله (اللوة) بقصة مرافقة جده محمد موسى المذكور مع محمد محمود بن عبد الرحمن، لم أستطع إيرادها كاملة للاختصار لكنها مشرفة جدا فمنها أن "ابن عبد الرحمن طلب من القاضي محمد موسى بن احمد الموسوي الذهاب معه وجعل له شاة على كل من يتبع لأهل باركلل وذلك مال كثير لكثرة عيالهم وغناهم" إلخ كلام اللوة.

²¹— راجع ص 22 (وترقيمها في 140 في أعلى الصفحة إلى اليسار).

عن أهل مولود: رئيسهم محمد محمود بن عبد الرحمن وابنه سيد احمد ومحمد البخاري بن العتيق
عن أهل الفاضل: رئيسهم أحمد بن علي، ومحمد عبد الله بن علي، ومحمد سالم بن الشريف وأحمد
يعقوب بن عبد الرحيم.

عن أهل عبد الله: باركلل بن محمد بن العتيق (رئيس فخذ)، أحمد باب بن أحمد مسكه (رئيس
فخذ)، سيد احمد لحبيب بن محمد بن أحمد مسكه، أحمدو بن سيدي إبراهيم.
عن أهل مسكه: محمد بن لحويج، أن بن الزمراكي، محمد باركلل بن كمال،
عن أهل حبيب الل: الديماني بن صلاح
وآخرين.

وبعد أن تم الاتفاق على ما اتفق عليه بينهم، تم توقيع الوثيقة المكتوبة بالفرنسية الصادرة عن الحاكم
اليوم الموالي أي 1952/09/24م. والوثيقة يومنا عند أهل محمد البخاري بن عبد الرحمن
ضمن عشرات آخر قيمة من كتابات المستعمر وإشهادات القضاة والعلماء لمحمد محمود بن عبد الرحمن
وخليفته ابنه سيد احمد ثم أخيه محمد البخاري من بعده وأخيها أحمد يعقوب. وقد صورت جُلها من
عند الرئيس الجديد محمد جزاه الله عني وعن المجموعة خيرا.

وفي تلك الحادثة - أعني تقسيم دمان - قال المترجم الوجيه محمد عبد الله بن الحسن الديماني
الفاضلي:

أَهْلُ بَارِكَلَلِ فِيهِ عَاثِبُ ذِيكَ الرَّخْوِ شَمْرَ
وَلَانَكَ لَاهِ تَوَعَّدَ جِيهِهِ مِنْهُمْ مَا نَسَّاتُ أَفْلَحْرَ²²

وإتماما للفائدة فقد طلب الشاعر محمد عبد الله التعقيب على هذا الكاف (تطلاع) فلما لم يعقب
عليه أحد عقب عليه صديقه العزيز العلامة الشاعر الفذ حبيب الله بن محمد بن محمود، قائلا:

²² - ديوان حبيب الله بن محمد بن محمود، ص 72.

محمد عبد الله فيهِ
 فتبارك الله اعليهِ
 حر الشمس اعليهِ امداويه
 فيه امساو مول ابيهِ
 ولّ زاد اجيهِ اناجيهِ
 ويهِ العادل لمناصيه
 ثامر ما ينج بين ايديه
 واطرح عار اب كف انجيهِ
 روع اعل شمس الغبر بيهِ
 ذاك ال كف انت لا ترخيهِ
 ياسر زين اعليهِ اغليهِ
 فيه اجميع كف العبر
 لّل باكغاد في الصمر
 الخمر والعبد ولمر
 تو الله و اريع اكرم
 ألا هو بكثرت عشر
 ماه لكغاد اعل ثمر
 بيهِ القليل خوف اتر
 إخل ذكامل غبر
 وارع سمعك و اكتب واكتر

أهل باركلل فيه...²³

وجاهته عند المستعمر وجراءته عليه:

روى لي أحمد مسكه بن محمد بن حبيب عن القاضي محمد محمود بن ألا الأعماي عام 1993م في
 أمرج

أنه قبل أن يكون في أكجوجت مكتبة كان أهل مولود مكاتبين في أطار وكذلك أولاد اللب. وذهب حم قاصدا أطار تلبية لدعوة الحاكم الجديد وأتى غيره من الوجهاء ليسلموا عليه فحياهم وقال لهم في حديثه إن أهل موريتانيا أهل "هول" وغناء وأنه يريد منهم أن يغنوا له! وكانت هذه مفاجأة كبيرة هائلة لأولئك الزعماء لما هم عليه من وقار وشأن والاستعمار في نفس الوقت في أوجه وقد

²³ - المصدر السابق، ص73.

استتب له الأمر في أنحاء البلاد (ماه شي كآع جايب اعليه ش) فلما سكتوا جميعا ووجموا....رفع حم أصبعه وأذن له الحاكم بالكلام فقال سأغني أنا لكن بشرط قال ما هو؟ قال حم: أن أغني عن جميع الحاضرين فينوب غنائي عن غنائهم إنقاذا منه للموقف، فوافق الحاكم.

هذا وإن حم عذب الصوت جدا وخبير بالغناء المحلي وموسيقاه (مفتوح فازوان) لدرجة أنه بلغ فيه حد تقييم المغنين أحيانا. وكان تلك الفترة متزوجا من المغنية ميماء بنت أسيساخ، لكن ممارسته للغناء كانت تقتصر على مدح النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان كثير الترنم به مع أنه كان أيضا كثير التلاوة للقرآن.

فوقف على المنصة وأنشد أبياتا من ابن مهيب في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، فطرب الحاضرون غاية وطرب النصراني حتى صار يقول (ça va ça va, c'est très bien). أي: (يكفي، يكفي، هذا جميل جدا) وتناول ورقة وكتب له حمولة هائلة من الهدايا (من المواد الغذائية والقماش...) وسلمه الورقة ورفعت الجلسة فنزل حم من على المنصة ووهب الورقة للزعيم محمد (مما) بن اعلي بن أحمد وكانا صديقين حميمين جدا علاوة على ما يربط عشيرتهما من أواصر روحية واجتماعية وثيقة.

فقام الوجهاء يقتفون مائة يقولون له هلا بعننا "امرابطك" هذا بما ترتضي من الأشياخ فقال لهم كلا بل وعلى طريقة ابن بن أبي مدين لما سأله بعض اليعقوبيين أن يبيع لهم جملا عنده بستة جمال فقال كلا ولا حتى بجمل واحد!!!

ومن ذلك ما حدثني به سبطه السيد محمد الامين بن كمال أنه حدثه وياء بن الركيبي²⁴ أنه كان ذات سفر رفقة ابن عم له يدعى ول اعبيدي وكلاهما من أولاد الشيخ (الركيبات) وأتيا إلى "بير إيگني" ولديهم جمال عطاش ومزاداتها فارغتان فكرعا الجملين في حوض عند البئر ملئى فما لبثا أن أتاهما رجل ليس عليه من اللباس إلا إزاره وأغلظ لهما في القول قائلا: "أوتوف الحوظ الا مديوز لك ينعل لك الولدين" فقال له وياه قل غير ذلك، فضربه الرجل بجبل مفتول مؤلم يعرف ب: "تاطيگت" فتصارعا فحمل عليه وياء بضربة شديدة فطرحه أرضا فما لبثا حتى أحاط بهم ركب من الثكنة واعتقلوهما فقال لهما القائد النصراني: أنما ضالنتنا المنشودة، واقتيدا إلى اكجوجت وقضوا في الطريق إليه ليلة أو ليلتين وتم سجنهما في ثكنة للرقابة العسكرية (وكانت هذه الثكنة مطلة على

²⁴— وقد حدثه بالقصة عند موضع يسمى: "اگليبات البركه" قرب "ميجك" وحضر لحدثهما اما بن أحمد باب بن محمد بن عبد العزيز رحمهم الله تعالى.

الشارع يرى من بداخلها كل ما بجوله). وبعد مدة رأى أحدهما محمد محمود بن عبد الرحمن ماراً
ويأحدي يديه أداة للتدخين «كَصْرَ» وبالأخرى زندا فناده من النافذة: "هكذا إذن يا ابن عبد
الرحمن، ابن اعبيد وابن اركيبي محبوبان وأنت حر طليق، فأجابه حَمَّ (ولم يكن على علم بشأنهما):
يفك أسركما على الفور إن شاء الله تعالى. فلما صارت الساعة الثاني عشر زوالاً من اليوم ذاته دق
جرس صاحب في الثكنة على العادة، فما لبثا أن جاءهما زنجي عملاق وذهب بهما إلى قائد الثكنة
الذي وجدا معه محمد محمود بن عبد الرحمن يناقشه في أمرها مناقشة حادة، فقبل أن يطلقها له مدة
يومين، فأبى محمد محمود ذلك يريد زيادة الأجل، ولم تزل تلك حالهما حتى قبل القائد أن يطلق
سراحهما لمدة شهر في ضمان حم، فلم يكتف حم بذلك طالبا أن يرد إليهما متاعهما المحتجز من سلاح
وجمال... الخ

ولم يزل أيضا في مد وجزر مع القائد حتى قبل له ذلك على مضض، ثم ذهب بهما حم إلى أحد
المنازل بالمدينة وأكرم نزلهما وقال لهما أن يغادرا إلى أهلهما في أسرع وقت ممكن. فاستفسراه
استفسارا كاد يرقى إلى مستوى الرفض عن مثاله مع القائد في حال سؤاله له عنهما عند انقضاء
الأجل الموقوت، قال لهما حم: لا عليكم، فالله المستعان.
فلما ذهبوا من عنده وانقضى أكثر من شهر، لم يزل ويأه يستقصي الخبر، فعلم أنه لما انقضى الأجل
استدعى القائد حم وسأله عن الرجلين، فأجابه: عهدي بهما عهدك. فتطير القائد شررا من
الغضب، فقال حم للمترجم قل له إني ما كنت أظن أن فرنسا تجعل علينا حاكما غيبيا، وخاطب الحاكم
قائلا ما مقتضاه: "أتريدني أن أضمن اثنين من الركييات ومسلحين أيضا؟؟؟! أتم على ما أتم عليه
من عدة وعتاد لم يمكنكم ذلك وأنا أعزل لا جيش عندي فكيف لي إذن أن أقوم بما عجزتم عنه، هذا
غير معقول"!!!

فقال له الحاكم ألم تمثل أمامي وتتعهد لي منذ شهر بضمانتهما مقابل أن أخلي لك سراحيهما، قال حم:
"نعم لكنني ما كنت أظن أنه بلغ بك الغباء أن تصدق تلك الضمانة فأيقنت أنك تهزل"!!!
ولم يزالا في هذا الحديث حتى رضي الحاكم وانتهى الأمر.

ومن جرائته المذكورة: أنه لما أنشأت الإدارة الاستعمارية مقاطعة إينشيري عاصمتها أكجوجت
وعينت لها حاكما فرنسيا، سنة 1929م²⁵؛ حُوت إليها "مكاتبات" قبائل إينشيري من كل من

²⁵ — حسب أحمد محمود بن سالم.

"بوتلميث" و"المذرذره"، و"أطار". وكان المقرر المنشأ لهذه الوحدة الإدارية أتبعها لإقليم آدرار. فذهب حم إلى مائة وقصدوا الحاكم رفقة آخرين وقال له حم: "نحن نشكر فرنسا على تصنيفها الجديد لنا مقاطعة لكننا نبلغها من خلالكم أننا لم نعد نقبل التبعية الإدارية لآدرار، لأننا لم نتبع في سالف الزمن لإمارته أبداً.

كنا قبلنا المكاتب في أطار لأجلكم ولما لم يكن في أكجوجت مكتبة، وأما الآن ولما صارت الحال هذه فإننا لم نعد نقبل أن يظل الأمر كما هو عليه الآن فإن شئتم أن تتبعونا لجهة أخرى من البلاد قبلنا، وإلا فسنترك لكم موريتانيا²⁶ (لاه انخلولكم مورتان) ونمهلكم أسبوعاً (أو اثنين)²⁷ لنعرف الرد". وبعد أيام جاء الجواب بتحويل التبعية الإدارية إلى روصو²⁸.

ومنها أنه مر ذات مرة بيحظيه بن سيد احمد الذي لا يزال حينها طالبا بالابتدائية أواخر سنة 1954م وقال له أريدك أن تترجم بيني وبين الحاكم الفرنسي (كوندز) لأتني لا آمن كيد المترجمين وعدم أمانتهم في إبلاغ شكاوى، واصطحبه ليلاً إليه وأتياه في منزله وقال له حم بصوت زاجر: (لطالما ذكر لي أن لديكم "مآكنات" عظيمة لاستخراج الماء من باطن الأرض، وأتم تعلمون أن ليس بهذه الأرض من الآبار مستمرة التدفق إلا "أكجوجت" وب"نشاب"، وتعلمون مدى صعوبة السقاية عليها خاصة كلما كثر الناس". وقال له أيضاً وكأنه يستشرف المستقبل: "ولم تنصفي من هذه الشركة أيضاً²⁹ واعلم أنني لست ضد أهل موريتانيا لكنني وإن كان منصفاً أن أطالب بأن يكون ثلثا الشغيلة من سكان إينشيري الأصليين إلا أنني لا أبغي إلا أن نُشركَ فيهم فقط، فيكتتب منا على الأقل حراس وموظفون بسطاء...وقد تعهدت لي مرارا أنك ستجلب تلك المآكنات ولم تف بعهدك وكذبت علي وأنا لا أتعامل مع من لا عهد له...".

²⁶— يعني الهجرة عنها.

²⁷— لم يضبط الراوي أيهما كان الأجل الموقوت.

²⁸— نقلا عن أحمد مسكه بن حبيب راويا عن الدحّ بن سدات الذي روى القصة عن محمد(مماة) بن اعلي بن أحمد المذكور.

²⁹— يعني شركة MICUMA شركة النحاس الموريتانية التي كانت أول شركة والوحيدة في زمانها في البلاد.

فلما فرغ يحظيه من ترجمته التي اقتضت على فحوى الشكوى دون أي نبرة زجر ولا تأنيب، قال له ابن عبد الرحمن: "أنت لم توصل إليه ما قلته على هيئته لأنه لم يغضب".! وبينما هم في هذا الحديث الصاخب إذ بادر الحاكم إلى "اكشاط"³⁰ حمّ فدفعه الأخير بيده عنه قائلاً: "ليس بيننا شيء بالغ الحدة، إنما خلافي مع المترجمين وتعرف شؤوني معهم المكتوبة عندك في الوثائق، وإذا كان الحاكم كالمترجمين يكذبون أيضاً، فإن لي معك شأننا آخر وسأشكو منك كما شكوت منهم إذن".

وفهم يحظيه من مبادرة الحاكم لإمسك "اكشاط حمّ" أن للنصراني شيئاً من التلمذ على حم لأن إمساك "اكشاط" ابن عبد الرحمن يعني استرضاءه أو التماس بركته لقضاء الحاج، وهذه الخاصية دعاء للولية آمنة بنت يوسف التي سياقي خبرها معه في محله إن شاء الله تعالى.

ملاح من وجاهته:

ومن وجاهته أيضاً أنه لما أُلح النصراني ذات مرة على أهل باركلل أن يسددوا العشر حالا وإلا فإن إبلهم ستصادر واحتجزوا حم بن عبد الرحمن في بوتلميت، وكان الأمير الشهم أحمد بن الديد في بوتلميت تلك الآونة فقال لهم حم أن يقتضوا ما لهم على أهل باركلل من راتب أحمد بن الديد، فقال النصراني المعني لأحمد هل ترضى بما قاله ابن عبد الرحمن؟ فأجابه الأمير ول الديد جوابه النبيل المشرف: "إن وهبني لك ابن عبد الرحمن خذني!" (امين يعطيني لك أكبطني)!. هذا وقد علم بالأمر أحمد مسكه بن العتيق الذي كان يعمل حينها مترجماً في شمال البلاد، وكان سيسعى فيه حتى علم بحله المذكور³¹.

وهذه القصة من نواذر الأمثلة من جنسها التي تشهد لمدى حسن علاقة ابن عبد الرحمن مع هذا الأمير البطل وهما اللذان تربط عشيرتيهما علاقات أوطد وأوسع وأعرق...

³⁰ — كلمة شعبية تطلق على منطقة الإزار المصنوعة من جلود النعم.

³¹ — نقلاً عن أحمد محمود بن سالم.

وكان وجيها حتى عند من ليس له به سابق معرفة شخصية فقد قدم ذات سفر على بوتلميت وأرسل لمحمد بن أحمد سالم بن احويريه أن ياتيه وكان الأخير شابا حديث الالتحاق بالجيش، فلما تقابلا قال له حم إنه يريد 400 رصاصة أوصاه عليها بعض معارفه الذين يزعم السفر إليهم في جهة "أدافز" ونواحيه.

فتفاجأ ابن احويريه من هذا الطلب واحتار بين أمرين كلاهما مراً إما أن يعطي لمحمد محمود الرصاص ويدخل مشكل عظيمة مع قواده في الثكنة لأنهم يفتشون العتاد كل صباح، وإما أن يرفض طلب حم الذي كان صديقا حميا لوالده والذي ينتمي لجهة يجلبها ابن احويريه... كل هذا دار بخلده هنيهة ولم يلبث حتى أعطى لمحمد محمود مبتغاه.

ولما كان من الغد باكرا طرأ على الثكنة سقاية لعدد كبير من الإبل عطاش ووكل أمرها لابن احويرية فوجد بعضا من البركيين على البئر فتولوا عنه سقايتها بسرعة ولا أي عوض فلما علم القائد الفرنسي بالأمر بعث إليه وكافأه بأربعمئة رصاصة وخمسة عشر يوما إجازة. ولم يحسوا بنقص في مؤونته التسليحية!

وبعد زمن جاءه رجل يسميه ابن احويريه ولا يذكره الراوي، وقال له إن ابن عبد الرحمن مر من هنا بالأمس ويبلغك السلام ويخبرك إنه لم يمكنه الانتظار حتى لقياك ويهديك هذه النوق الحلائب وهذه الناقة (أو الجمل) لتنحرها³².

تصوفه وجهه للصالحين:

عُرف ابن عبد الرحمن بتعلقه الشديد بمدح النبي صلى الله عليه وسلم وتقديره لأهل الفضل والصلاح وبجبه لهم وعلاقاته الوطيدة بهم، وأذكر في هذا الشأن أمثلة منه تقريبا للحال:

ابن عبد الرحمن والشيخ أحمد يعقوب:

تروي لنا المصادر الشفهية أن خاله العلامة الولي الشيخ أحمد يعقوب بن ابن عمر ضمن لأمه قبل ميلاده أن يكون سيذا غير عادي³³، وتواتر في هذا السياق أنه لما جيء به إليه بعد ولادته وضعه

³²— نقلا عن ثقة تحفظ على اسمه حدثه بها محمد بن احويريه المذكور، بتاريخ 83/1982م. وحدثني بهذه القصة أيضا أحمد مسكه بن حبيب.

³³— نقلا عن أحمد مسكه بن حبيب.

في حجره ثم بال الرضيع على الشيخ أحمد يعقوب³⁴ فقال (ويلُ أراهُ اشَّيخُ اعلَ كُومُ)³⁵ أي: (بخ بخ له فقد ساد قومه)³⁶. وفي أحد المصادر المكتوبة أنه: "مضغ له خاله العلامة الشيخ أحمد يعقوب بن محمد بن ابنعمر تمرات حنكه بها"³⁷.

ابن عبد الرحمن وآمنة بنت يوسف:

هل ذهب الشيخ أحمد يعقوب بابن اخته الصبي إلى آمنة بنت يوسف يلتمس دعاءها له، أم أن الأخير لقيها من تلقاء نفسه لما بلغ مبلغ الرجال؟ خلاف كان ليرجح عندي طرفه الأخير لولا أن الأول معزو لمؤرخ أهل باركلل في عصره أحمد باب بن بودرباله، فقد كتب محمد الأمين بن محمود في مقدمة تحقيقه لديوان حبيب الله بن محمد بن محمود في معرض كلامه عن المترجم له: (وقد ذهب³⁸ به إلى الولية الصالحة آمنة بنت يوسف ويقال إنها قد دعت له بقولها: "ينصر حنكك أينصر كذبك" وقيل إن المعنى نصرك الله في الدنيا والآخرة إذ الدنيا دار كذب والأخرى دار حق).

39

أما الرواية الأخرى فقد حدثني بها السيد الفاضل امّام بن صلاح بن الشيخ محمد المام وهي التالية: "أن محمد محمود اشترى في مبادئ شبابه جميلين من عند أحدهم ووافق أن حضر عند البائع رسول من عند الصالحة آمنة بنت يوسف أبلغه أنها تريده أن يعيرها جملاً للحمل الراوية، فأجابه: لم يكن عندي إلا هذان الجملان وقد بعتهما لابن عند الرحمن هذا، فتدخل صاحبنا قائلاً خذ أحد جملي هذين وائت به لآمنة وأبلغها أني وهبته لها. فلما قفل إليها الرسول بالجمل، أرسلت لمحمد محمود أن ياتيها فلما جاءها قالت له خذ هذه المنطقة (لكشاط) وتمنطق به وإني ضامنة لك أن لا يनावيك أحد ولا دولة إلا نصرك الله عليه".

³⁴— نقلا عن محمد عبد الله بن حبيب الله وسيدي عبد الله بن بودرباله.

³⁵— أو قريبا من هذه العبارة.

³⁶— نقلا عن سيدي عبد الله بن بودرباله.

³⁷— ديوان حبيب الله بن محمد بن محمود، ص 26.

³⁸— أي الشيخ أحمد يعقوب.

³⁹— ديوان حبيب الله بن محمد بن محمود، ص 26.

ومع أن الرواية الأخيرة أرجح عندي، إلا أنني أرى جواز التوفيق لا الحسم، بمعنى أنه يمكننا افتراض أن كلا الأمرين وقع فعلا: أي أن خاله الشيخ أحمد يعقوب ذهب به صبيا إلا آمنة فدعت له بالدعا المذكور آنفا، ولما كبر ووقعت قصة الجمل أتاها ابن عبد الرحمن وأعطته تلك المنطقة. ورغم أن هذا الافتراض غير مؤسس ولا يعدو كونه افتراضا إلا أنه لا يتناقض مع المنطق، والله أعلم.

ابن عبد الرحمن وحبيب بن المكي:

وكان زوارا لهم في ملماته فمن ذلك أنه لما أرسل له المستعمر ذات مرة رسالة يطالبون فيها بأن يأتيهم بالعرش على وجه السرعة وكان العام مقحطا ذهب من أكجوجت إلى "لغريدات" بدمان وزار إمامها حبيب بن المكي لعدة حاجات منها أن ييسر الله له تسديد ما طلب منه، فما لبث أن مر به راكب جمل أبيض جيد فاستدانه منه بجدعتين من الإبل على عام كامل وركبه ميمما أطار فلما وصله سمعت زوجة الحاكم الفرنسي هدير الجمل وتعلقت به أيما تعلق وطلبت من زوجها الحاكم شراءه لها فتحسس خبره وبعث لابن عبد الرحمن أن يأتيه باكرا فلما تقابلا سأله عن الثمن الذي يبيعه به فقال له كلمة بليغة تدل على سرعة بديهية صاحبنا وهي: "بخلكات الرجال" أي أبيع به... فأعجب الحاكم بهذا الموقف التقديري وأعفاه من العشر ذلك العام والذي يليه مستقبلا وأهداه الكثير من السكر والشاي والقماش وأهداه رجل آخر جملا ورجع إلى أهله من أطار غانما⁴⁰.

ابن عبد الرحمن ومريم بنت محض احمد بن حبيب:

وكان يقول "ما كُط حزموني الرجال محدي عالم ابمرم منث محض احمد اغل ووجه التراب"⁴¹ وتعريبه هذه العبارة: "لظالما لم أعتد بالرجال ما دامت مريم بنت محض احمد على قيد الحياة". وسئلت ذات مرة مريم المذكورة عن سبب نصرتها ونهوض حالها لابن عبد الرحمن فقالت: "كان يذكرنا في الملا والمجالس"⁴². وكان يأتيها مرارا ويمدح لها النبي صلى الله عليه وسلم⁴³.

⁴⁰— نقلا عن عبد الله علي بن حبيب الذي روى له القصة احمد يعقوب بن محمد محمود بن عبد الرحمن.

⁴¹— نقلا عن عبد الله بن أحمد بازيد بن عبد الله بن المام.

⁴²— المصدر السابق.

⁴³— نقلا عن أحمد محمود بن سالم.

ابن عبد الرحمن والشيخ أحمد بمب خديم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قص على السيد الفاضل بمب بن أحمد بن هيبه اللبي رؤيا عجيبة رآها في حدود سنة 1976م، فيها أنه التمس الرقية من محمد محمود بن عبد الرحمن والدعاء له لحاجة عند بمب، فأعطاه حصيات من التراب أعمل فيها ابن عبد الرحمن الرقية. هذا وقد رآه في خيمة عظيمة بها كثير من الخلق بعضه ميت وبعضه حي، وبين ركيزتي الخيمة إلى الأعلى رجل حسن الهيئة يتناول إليه كل من بالخيمة يقفزون ولا يمكنهم بلوغه، فسأل بمب محمد محمود من هؤلاء ومن هذا الرجل؟ فأجابه: "هذا شيخنا الشيخ أحمد بمب. وألاء الموتى فنحن مجتمعون نحتفل بعيدنا السنوي".

فهل لنا أن نفترض أنه كانت لابن عبد الرحمن علاقة روحية بالشيخ الخديم؟ سؤال لا أدري جوابه لكن طرحه قد لا يكون خاطئا لما عرف به ابن عبد الرحمن من التعلق بالصالحين وزيارتهم ولمدى ظهور الشيخ الخديم الذي عاصره ولأن محمد محمود ذهب مرارا إلى السينغال قاصدا اندر ولا يستبعد أن يكون قصد الشيخ أحمد بمب أو لقيه في مدة منفاه في أرض "البيضان" لزيارته والتماس بركاته. كما كانت الحال مع العديد من أبناء عمومته مثل عبد الله بن الشيخ محمد المام، ومحمد فال بن سيدي ابراهيم، ومحمد الخضر بن حبيب، ومحمد الامين بن ابن عديم، وأحمد يعقوب بن البخاري بن المختار بن إسحاق بن الأفضل...

وله علاقات طيبة مع العديد من غير هؤلاء، وجمعتهم قصص معهم منها ما روي لي أنه أصابه صداع آله جدا فبعث أهل حيه إلى آمنة بنت بلال الولي (الصالح المشهور) فأرسلت لهم قطعة من "كرمز" قلنسوة أيها فحضوه في شراب سقوه لمحمد محمود فبريء من حينه.⁴⁴

44_ نقلنا عن عبد الله بن أحمد بازيد بن عبد الله بن المام.

مدائحه:

قال هارون بن الشيخ سديا: "وقد عمر محمد محمود هذا وشاع عند الناس ومدح"⁴⁵.

ومن أمثلة أمداحه قصيدة الشاعر المطبوع المفلح محمد بن الصوفي بن المختير اليعقوبي التي مدح بها باركلل بن محمد بن محمد بن العتيق، ومحمد محمود بن عبد الرحمن، وصهره محمد باركلل بن كمال، وأحمد بن علي بن سيدي عبد الله بن الأفضل:

للمن جمالاً عليهم الرعايبُ	بالدور منها الغرايب الغرايبُ
أمسث معطلةً إلا الأوازي أو	سفع الأثافي بها للهوج تاويبُ
وقفت فيها عتداة موقفة	وجناء معروقة اللحين سرحوبُ
ولا يجاب سؤال الواقفين بها	ولا يجاب امرؤ بالشوق مغلوبُ
سألتها وهي خرس عن مسائلها	ولا عريب بها من فيه تعريبُ
بالظبي لفتها والرمح قامتها	والدعص ردف وللسوق الأنايبُ
لا شيء أحسن منها غاية لفتي	إلا أكارم منهم يملأ الكوبُ
أبناء بارك فيه الله فضلكم	حلم وعلم وإحسان وتهذيبُ
أنسابكم فاقت الأنساب إن نسبت	ولم ينل منكم الأنساب محسوبُ
إن الجواد إذا البرذون سابقه	عن شأوه خانه ساق وعرقوبُ
لا يستوي في مقام الفضل منخض	وذو ارتفاع على الأمداح منصوبُ

⁴⁵— كتاب الأخبار، لمؤلفه الشيخ هارون بن الشيخ سيديا.

محمودكم خير محمود مناقبه
 مبارك اللّ فتى محمود خير فتى
 أغرّ أبيض لم تُمنن مواهبه
 واذكر محمد محمود رئيسهم
 نجل الفتى عابد الرحمن خير فتى
 واذكر سليل كمال خير منتسب
 وأحمد بن عليّ خير من نسبوا
 مولودكم خير مولود أناجيب
 له إلى المجد إصعاداً وتصويب
 ولا تُملّ إذا ملّ المواهب
 تعلقو الرؤوس إذا سال المذائب
 حاز المناقب إن عد المناصب
 إلى الفلالي الأماجد الأطيّب
 للفاضليين ذوا المجد الأهاضيب⁴⁶

وله أيضا في مدح ابن عبد الرحمن هذا البيت من قصيدة لا زال البحث عنها جاريا:

لا بد للدهر من عيد ومن قمر
والدهر أقماره أنتم وأعياده⁴⁷

وهذا جزء من قصيدة قد قالها جكاني يقال له محمد الامين بن عبد الرحمن قدم على محمد محمود بن عبد الرحمن مسافرا من عند المجريه على نعليه وأعطاه جملا يقال له "العوّاي" من إبل أهل البخاري اشريف، وكان هذا عام "الهوف" أي 1945م ومنها:

هم الذين إذا تصبّك معضلة
يبدرون لها الأطفال والأمرأ
يسارعون إلى المعالي⁴⁸ قاطبة
فما تفرق بين المثل والفقرا

⁴⁶— تاريخ حياة أهل باركلل أخلاقهم وعاداتهم، ص: 237.

⁴⁷— نقلا عن العلامة المجدد شيخي محمد بن أحمد مسكه.

⁴⁸— بغير مد اللام لضرورة الوزن.

بأدر لأرضهم وانزل منازلهم
على الذي بك من حزن ومن كرب
واخصص محمد محمود فإن له
هو الجواد الذي يعطيك نائله
هو المغيث إذا ريب الزمان رما
فكم فككت رهينا طال مكتنبا
يجتاب أرضا إلى أرض بلا فرس
صلّ إلهي على المختار من مضر
تجد منازل للأحرار والبررا
يشفي بينهم لو كنت في سقرا
كفا أنامل لا تبقي ولم تذرا
هو الكريم الذي لا يشتكى الضرا
طورا بسهم له وصادف القدرا
وكم فككت رهينا جاء منتصرا
ولا قلوب ولا ثور ولا بقرا
بعد ما جا إليك الدهر معتذرا⁴⁹

ومن أمثلة ما مدح به من الملحن قول أحمد بن محمد سالم بن الميداح:
أدريث مؤلود آمن منين
من عند المعط معروفين
ما فيهم نقص ولا ش شين
والعطاي للهي دانين
من بعد، اطوايف متكرين
بزك أعدل هم في الجين
يعمل علام العطايين
لاه كند أحامره حند
معطاهم ياسر مؤجند
هوم بل الدرج والعكد
واللجاج ولهم تقصد
بزك اغل بزك أوخر يعمد
وأوخر هم فأت أوجد
ال يعط ما يتحييد

⁴⁹ - نقلا من وثائق أهل عبد الرحمن، بتصرف طفيف.

عَطَّايْ أَيْكَائْ مَثْكَرَيْنْ واجمالُ جُمَّلْ تُكْـوُودْ
محمدُ مَحْمُودِ الِّ بَيْنْ المشـرقُ والمغـربُ ينعـد
أسخاه، أَلَاهُـوْ بالعـين شـفناهَ واسمـعن ف الـرِّدْ
والمـاركُ مـنْ صـالحـين وَاضـلِّحْ هُـوْ مـنْهـمُ واعـبـدْ
مـا كـط اـحـمَّ ظهـرُ حـزـينْ اغـل شـ مـا جـبـرُ وثـجـدْ
يـمـلانَ عـمـرُ بـسـنـينْ زيـدُ كـذْ اسـنـينْ في العـد⁵⁰

وهي مقطعة طويلة "كرزه" مدح بها ذراري بازيد عموما وخص أسرتين منهم بالذكر هما: أهل حبيب بن المكي وأهل عبد العزيز بن الشيخ محمد المام ثم خالص إلى ما أوردناه منها من مدح لفصيلة الممدوح: أهل مولود بن بارك الله فيه، الذي ختمها بمدحه.

وقيل فيه هذا "الكاف" المشهور الذي قيل لي إنه لابن عمه محمد بن أحمد فال⁵¹:
حَمَّ يَعْطِيَهُ الشَّفَاعَ راجـهـالُ مـنْ عـنـدَ الـلِّ
مـا كـط اـكـعـد بـينِ اجـمـاعَ مـا رـابُ الـهـ الـمـ فالـكـلِّ

وقيل في مدحه أيضا⁵²:

أخيارُ الِّ نَعْرِفُ مَوْجُودُ الـؤـلـفُ مـحـمـدُ مـحـمـودُ
مـاهُ كـثـاعُ امـعـاهُ مـعـدودُ هـاذِ يـعـرُفـهـ كـم مـنْ حـدُ
أُلاهُ كـثـاعُ امـعَ حـدِّ افـكـوُودُ ذـيـكـ اـيـدُ ازـعـيمُ الـا تـشـتـدُ

⁵⁰— نقلًا عن سيدي عبد الله بن بودرباله.

⁵¹— كذا يظن أحمد محمود بن سالمٍ.

⁵²— لم أضبط القائل.

غَيْرَ أَحْيَارَ الْخَلِّ مَوْلُودُ وَغِيَّيَ يَعْطِ لَزْزَاقَ الْحَدِّ
 كَطَّ اسْمَعْتُ فَارْجُلَ مَشْدُودُ الْكِرْمَ أَحْيَارُ سَيِّدِ أَحْمَدُ
 سَيِّدَ أَحْمَدِ كَاعِ ابْلَا تَوْصِيْفُ اصَّ فَالْحَكُّ امْنَيْنِ انْرُدُّ
 الْآخَالِكُ حَدُّ اشْرِيْفُ اَكِيْفُ الشَّرْفَ مَاهُ سَيِّدِ أَحْمَدُ⁵³

وقال فيه ابن محمد خويي أبوك علما:

محمّد محمّود الشّكر سيّان هوّ والشّمّت
 شكر ما يرفع من قدر أشمّت ما ينكص مرتبت
 يلالي مزين حدّ أثر ذنبت هوّ ذنبت⁵⁴

الخاتمة:

كان ابن عبد الرحمن رجل علاقات بامتياز وله مواقف طيبة تشهد عليها الوثائق التي وقفت عليها وغيرها من القصص المتواترة مع الكثيرين من أعلام زمانه مثل الشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل القلقمي، والشيخ سيديا باب الإنتشائي وأخيه سيد المختار، والأمير أحمد بن الديد (أولاد أحمد بن دمان) والأمير سيد احمد بن أحمد بن عيّد (أولاد يحيى بن عثمان) والأمير عبد الرحمن بن اسويد احمد (إدوعيش)، ومماه بن اعلي بن أحمد، ولفظيل بن اللب اللبين، ومحمد بن الخليل الركيبي، وأحمد بن عثمان (أولاد محمد)، ومحمد بن مولاي، وأحمد سالم بن احورية العلبين أيضا، ومحمد بون مختار الدماني، وسيد امبارك بن الشيخ المختار، وأحمد سالم بن صمب السباعيين

⁵³— نقلا عن محمد بن محمد البخاري بن محمد محمود بن عبد الرحمن.

⁵⁴— نقلا عن عبد الله بن أحمد بازيد بن عبد الله بن المام، رواية عن أحمد بن خداد.

والطالب اخيار بن الشيخ ماء العينين، والولي بن الشيخ يبّ القلقميين، ومحمد عبد الله بن الحسن الديباني....

وبصفة أعم فإن الرجل قد جاب البلاد طولا وعرضا، ويكاد يمكن القول إنه لم يبق علم من أهلها أو من يشار إليه إلا وله به صلة أو جمعتة معه قصة مشرفة، فقد عرف جل علماء وأولياء وأمراء وأبطال ووجهاء وشعراء التراززة والبراكه وتكانت وآدرار ومناطق إينشيري والساحل التي ينتمي إليها.

أما المعاصرون له من رؤساء أهل باركل وساداتهم فهم كثيرون أيضا أذكر منهم: عملاقي عصرهما محمد بن عبد العزيز ومحمد بن أحمد مسكه ويكبرانه كثيرا. ومن يكبره أيضا سيدي بن لحويج، ومحمد بن العتيق...

وعاصر إزيدن بيه بن أحمد بن النيه⁵⁵، ومحمد المختار بن آب، وأميين بن الزمراكي، وأحمد بن علي، وأميين بن العتيق بن أحمد مسكه، وأحمد بزيد بن سيدي ابراهيم، ومحمد بن لحويج، وأحمد مسكه بن العتيق بن أحمد مسكه، وباركل بن العتيق. وقد عاصر أيضا أحمد باب، ومحمد المام ابني محمد بن عبد العزيز، ومحمد عبد الله بن علي، وأحمد باب بن أحمد مسكه...

يقول مفكر العصر أحمد باب بن أحمد مسكه عن نفسه⁵⁶:

"ربما كان الوقت مناسبا لذكر حدث تاريخي عشناه قبل قرابة ستين سنة بمناسبة تأسيس حركة الشباب التي لعبت الدور المعروف في انتزاع الاستقلال كان ذلك أواخر شهر 12. 1955 على هامش مؤتمر لحزب الإدارة(.....) في لكوارب(روصو) حضرته الأغلبية الساحقة من الوجهاء (أمراء، أشياخ، شيوخ، موظفو الإدارة ذوو النفوذ الكبير...إلخ). تأسست الحركة وانتخبت مكتبها. ولما اختارني الرفاق أمينا عاما، اقترحت عليهم تأجيل الإعلان 24 ساعة للتشاور مع الكبار، مهما كان ضعف الأمل في إقناعهم بما نحن بصدده. هم كانوا تحت رحمة الحكام الفرنسيين الذين يتحكمون في مصالحهم ومصالح قبائلهم وحتى في حياة الناس إن اقتضى الحال. لذلك لم نكن نريد

⁵⁵— وقد أشار إلى علاقته بإزيدن بيه، أحمد مسكه بن حبيب الذي كتب أن محمد محمود زار أهل الطالب مصطفى "تضامنا معهم إثر أحداث عاشوها خلال النصف الأول من الأربعينيات، مازال بعض من شهودها أحياء لله الحمد ومن بينهم "اباهتنا بن ازيدنا بيه" الذي لم يبلغ بعد سن المراهقة حينها". ص1.

⁵⁶— في مذكرة كتبها أحمد باب بن أحمد مسكه، ص: ص: 3، 4.

إقناعهم بالتمرد اتجاه الإدارة وإنما المطالبة في البداية باحترام بعض الحقوق التي يعترف بها القانون الفرنسي نفسه ولا تطبقها الإدارة الإستعمارية(الفرنسية!). لم يكن المراقبون يتوقعون أن يقبل الوجهاء حتى مجرد لقاء مع "التركة"، فكانت المفاجأة أنهم استقبلونا في تجمع ضخم في ساحة واسعة وقد أجمعوا على متكلم واحد وهو الشيخ عبد الله ولد الشيخ سيديا، محاطا بعبد الرحمن ولد اسويد احمد وغيره من كبار الوجهاء من جميع الجهات.

جری حديث غريب لم يكن لينتظر منه إلا "حوار صم" لكنه كان بعيدا عما كان يتوقعه البعض من عنف و....و...،،، فقد كان المتكلمان (زعيم الوجهاء وأمين عام الشباب) ينتميان إلى "مدارس" لا محل فيها للتنابز باللقاب ولا لاستعمال لغة الغوغاء حتى اتجاه خصم غير محترم. ولا يعني ذلك طبعا عدم التعبير بقوة عن الموقف والدفاع عنه حتى...بالقوة إن اقتضى الحال. انتهى اللقاء دون أي تغيير في المواقف، لكن بشيء من الاطمئنان وربما الثقة الغير معلنة بين الطرفين، عبر عنها في الحقيقة الشيخ عبد الله حين قال: "نحن لا نستطيع اتباعكم الآن فيما تدعوننا إليه لكننا مرتاحون الآن أبناءونا أصبحوا يعرفون كل شيء عن هؤلاء النصارى وأنهم سوف يقودون الأمور كما ينبغي في المستقبل..وساعد الحظ في اختيار أحسن خاتمة للاجتماع حين دعا المؤذن إلى صلاة المغرب. لا شك أن جو روصو ترك رغم كل التوقعات انطبعا غير عدائي ساعد في تجنب كثير من الصدمات كانت متوقعة وأنه ربما كان من الأسباب التي أعانت الوجهاء على فهم ما يريد "أبناءؤهم" فهما إيجابيا. ومن المؤكد أن أغليبتهم في النهاية تظاهرت بعدم التخلي عن دعم الموقف الرسمي إلا أنها كانت "سارة بالإسلام" أي غير بعيدة من الخيار الذي تبنته الأغلبية الساحقة من الشعب." انتهى.

وقد حدثني الشيخ محمد بن أحمد مسكه أنه كان حاضرا لذلك الموقف وأن من بين الزعماء التقليديين الحاضرين: يزيد بن السالك بن لالبي، ومحمد محمود (حمم، علما) بن عبد الرحمن...وأن عبد الله بن الشيخ سيديا قال لأحمد باب أيضا: بالأمس لنا نحن لا تشاركونا فيه وغدا لكم أتم لا نشارككم فيه، واليوم بيننا! وهذا من حكمة عبد الله وورزانتة.

ويمكننا تلخيص مميزات شخصية ابن عبد الرحمن في أنه كان بدر النوادي، زينة المحافل، سيدا مهاجا حججاحا، قويا في غير ظلم، لينا في غير ضعف، مؤمنا طروبا، غير مرزاح، شجاعا، طموحا، حضاضا على الجد والعمل والتعلم، ثائرا.

وأعتذر عما في هذا المكتوب من أخطاء بنيوية وشكلية، وأعتذر للقارئ الكريم عن عدم التأني في تحريره، وأؤكد هذا الاعتذار في البيتين التاليين:

ما حظَّ حَمَّ يسيرا في تسبُّبه في الرفع من ذكر أحياء الأمالييف

ولا يفیه مقالٌ حقَّه أبدا بل يستحق علينا أيَّ تالييف

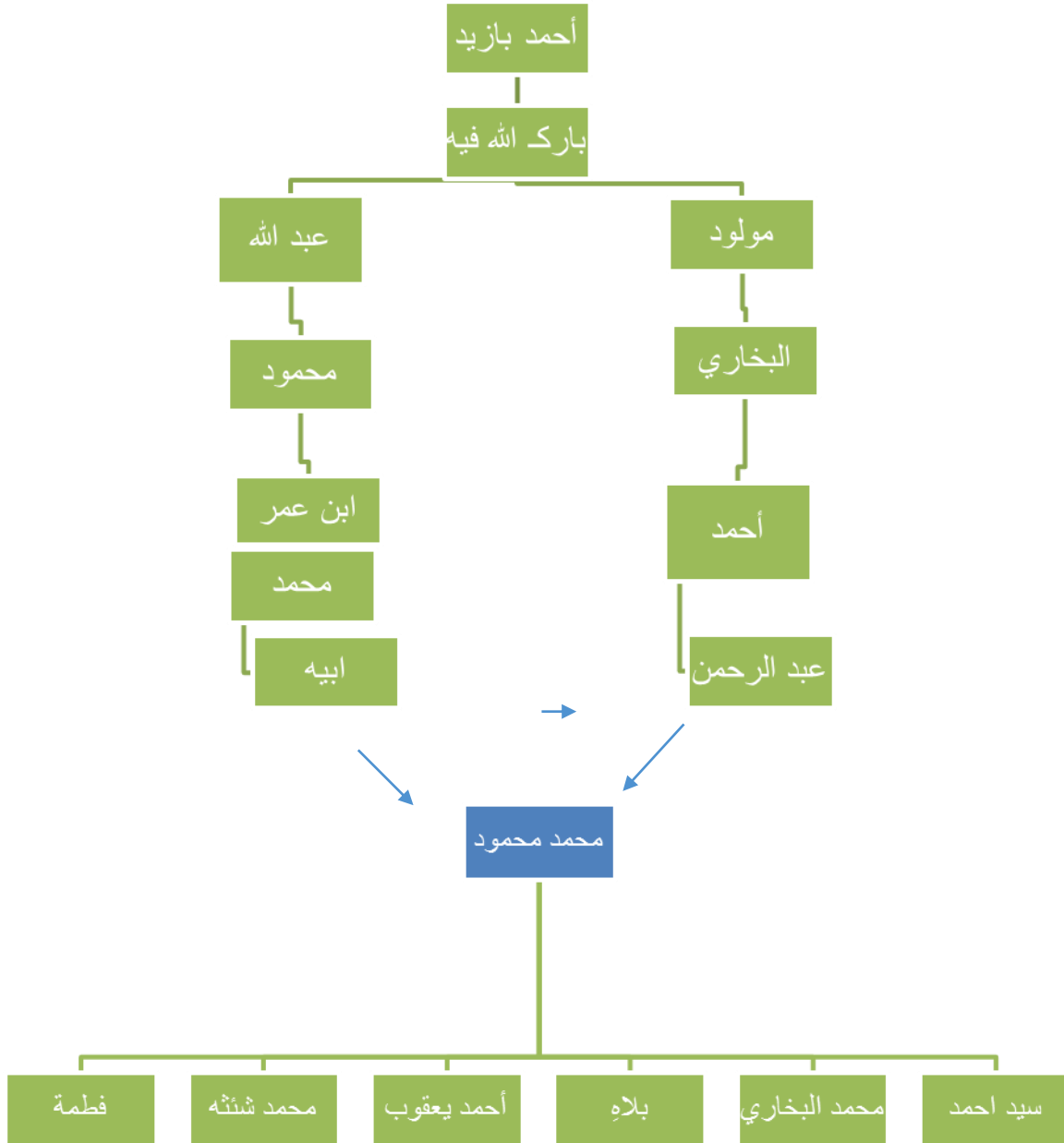
وترجمته إلى الملحون:

خَبْرُ اشعَ حَمَّ ماهُ قالَ فسَمِعَ ذِ حَيْثُ لَمَّالِيْفُ

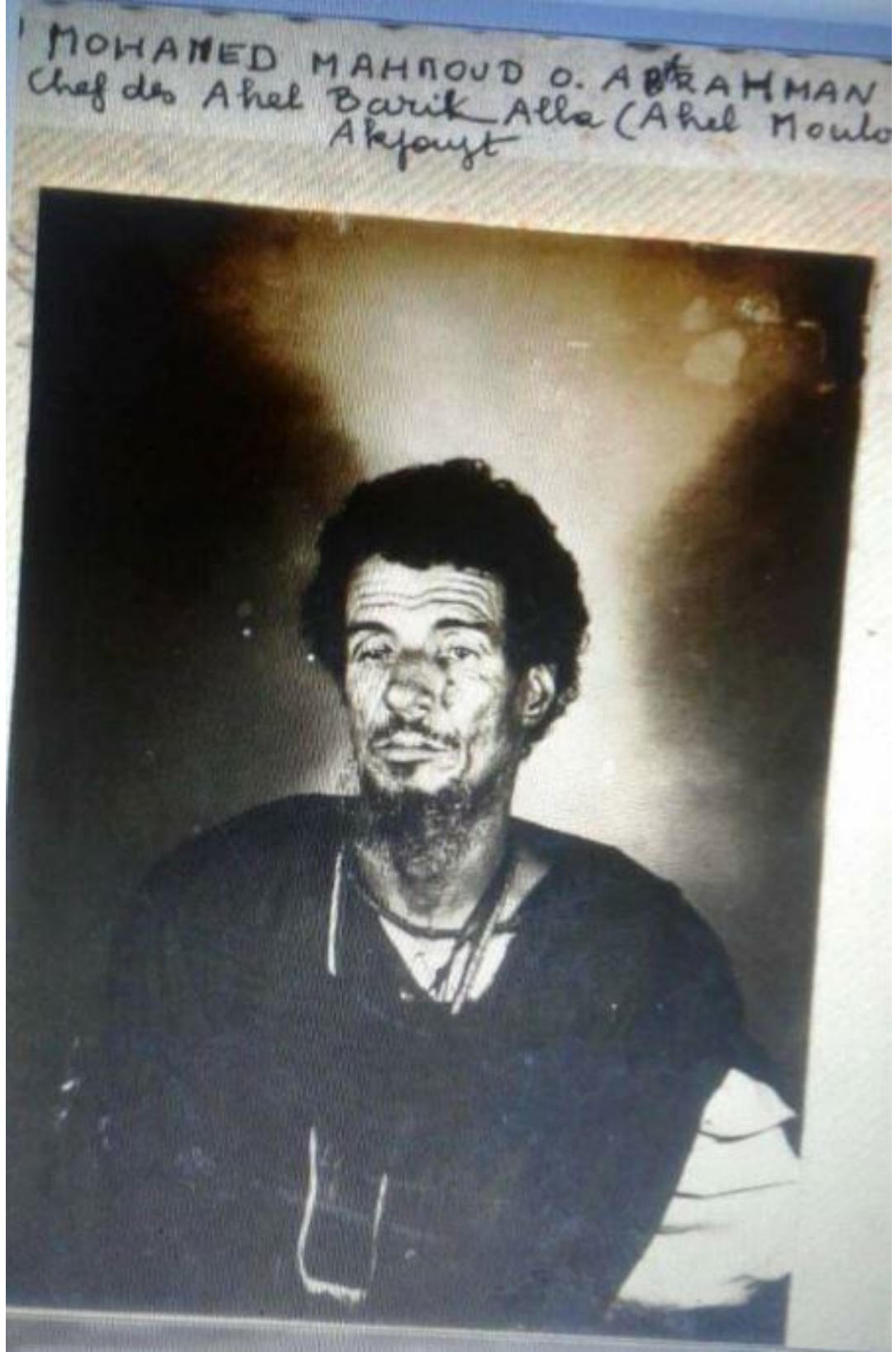
الْاِيسْتَحَقُّ الَّامَقَالَ الَّيسْتَحَقُّ: التَّالِيْفُ

وكان الفراغ منه يوم 18، 11، 2017م. بتوقيت 22:21. والله الحمد من قبل ومن بعد.

الملحق 1: شجرته النسبية



الملحق 2: صورته:



مصدر الصورة: محمد فاضل بن محمد بن محمد فاضل، والدكتور سيد احمد بن الأمير، والدكتور محمد بن البرناوي.

مراجع المقال:

المراجع المكتوبة:

- (1). أحمد مسكه بن العتيق Une tribu maraboutique du Sahel, Les AHEL BARIKALLA Par AHMED MISKE, Interprete à Chinguetti(Mauritanie).
"أهل باركلل قبيلة زوايا في الساحل". تأليف أحمد مسكه بن العتيق البركي .
- (2). موسوعة حياة موريتانيا للعلامة الشاعر المؤرخ "ابن خلدون موريتانيا" المختار بن حامد الديماني. وقد عزوتُ منها إلى:
الجزء الثاني: الحياة الثقافية، الدار العربية للكتاب.
- (3). كتاب الأخبار، لمؤلفه المؤرخ هارون بن الشيخ سيديا. الجزء المتعلق بأهل باركلل، مخطوط.
- (4). حذف من حسن علاقات البركيين مع أهل الشيخ محمد فاضل بن مامين (تلبية لطلب من الأستاذ المبرز الباحثة عبد الودود بن الشيخ). لم ينشر بعد.
- (5). تاريخ حياة أهل باركلل أخلاقهم وعاداتهم
تأليف العلامة الفقيه الصالح أحمد باب بن عبد الله العتيق الملقب (بُدْرَبَال) بن محمد الأمين بن البخاري المحمودي الباركي. الناشر: محمد الأمين بن محمد عبد الله بن الخرشبي، الطبعة الثانية، مارس:2008 م .
- (6). ديوان حبيب الله بن محمد بن محمود

بحث لنيل الإجازة (المتريز) في اللغة العربية والشريعة الإسلامية بالمعهد العالي للدراسية والبحوث الإسلامية. جمع وتحقيق الطالب: محمد الامين ولد محمود. إشراف الأستاذ العلامة: محمد عبد الله بن عبد الله. السنة الدراسية: 2002 – 2003م.

(7). "ديوان الشعر الفصيح والحساني من بعض ما قيل في مدح أهل باركلل شهد به القاضي والداني"، مذكرة جمع فيها الشيخ بن أخي بن الديباج عددا من مدائح أهل باركلل. مرقون.

(8). بنيامين أكلوك (Benjamin Acloque) في ملخص أصدره بتاريخ: 01، دجمبر، 2014م، بعنوان:

De la constitution d'un territoire à sa division : l'adaptation des Ahl Bârikalla aux évolutions sociopolitiques de l'Ouest saharien (XVIIe–XXIe siècles).

(9). موسوعة أنساب أهل باركلل، مرقونة لم تنشر بعد. جمع: سيدي عبد الله بن بودرباله البركي، تكملة لما جمعه الأستاذ محمد سالم بن أبي المعالي اليعقوبي الخوالي، رحمه الله تعالى.

- (10). مذكرة كتبها أحمد باب بن أحمد مسكه يسرد فيها بعض تجاربه السياسية. مرقونة لم تنشر. نبذة في التعريف بأهل الطالب مصطفى، كتبها أحمد مسكه بن حبيب بتاريخ 2015/07/29م.
- (11). وثائق محمد بن سيد احمد لحبيب بن محمد بن أحمد مسكه.
- (12). وثائق أهل محمد البخاري بن محمد محمود بن عبد الرحمن

المصادر الشفهية:

1. عدة مقابلات مع الشيخ محمد بن أحمد مسكه كان آخرها يوم 2017/11/17م، ضحى.

2. مقابلة مع السيد الفاضل: بمب بن سيد احمد بن أحمد بن الهيبه اللبي، في منزله بعين الطلح، انواكشوط بتاريخ: 20-05-2017م، فيما بين الساعتين التاسعة والعاشره ليلا.

3. مقابلة مع محمد المام (امّام) بن صلاح بن الشيخ محمد المام، في منزل أهل حمين بانواكشوط، يوم 2017/11/15م، قبيل العصر.
4. مقابلة مع الدبلوماسي يحظيه بن سيد احمد يوم 2017/11/12م، في منزله بانواكشوط بعد صلاة المغرب.
5. اتصال هاتفي بالسيد أحمد محمود بن سالمي بن أحمد بن البخاري، بتاريخ 2017/11/16م، بعد الزوال.
6. مقابلة مع عبد الله علي بن حبيب، في منزله بانواكشوط، بتاريخ: 2017/11/09م، بعد صلاة المغرب.
7. مقابلة مع الإعلامي الأستاذ محمد عبد الله بن حبيب الله، في منزل أحمد مسكه بن حبيب، بعد صلاة العصر يوم 2017/11/10م.
8. مقابلة مع القاضي محمد عبد الله (اللوه، علما) بن القاضي المختار بن القاضي محمد موسى بن احميد، في منزله ب "تفرغ زينه:" بانواكشوط، بتاريخ: 22 - 05 - 2017م، فيما بين الساعتين العاشرة والحادية عشر ليلا.
9. عدة مقابلات مع الإداري أحمد مسكه بن حبيب كان آخرها يوم 2017/11/17م، قبيل العصر.
10. مقابلة مع الإداري العتيق بن أحمد مسكه في منزل أهل أحمد مسكه، يوم 2017/11/14م بعد صلاة العشاء، و 2017/11/16م بعد صلاة المغرب.
11. عدة مقابلات مع المؤرخ النسابة سيدي عبد الله بن بودرباله، كان آخرها اتصال هاتفي يوم 2017/11/17م.

12. عدة مقابلات مع عبد الله بن أحمد بازيد بن عبد الله بن الممام، كان آخرها في منزله بانواكشوط بتاريخ: 2017/11/18م.

13. اتصال هاتفي بمحمد الامين بن محمد باركلل بن كمال، هذا الشهر، ولم أضبط اليوم، بعد الزوال.

الفهرسة:

2.....	توطئة:
2.....	التعريف به (نسبه، مولده، نشأته، ووفاته):
2.....	نسبه:
4.....	مولده:
4.....	نشأته:
5.....	وفاته:
5.....	حياته الاجتماعية:
5.....	حياته السياسية:
6.....	مقاومته للاستعمار:
6.....	مكاتبته للمستعمر:
9.....	وفادته على الشيخ سعد بوه:
10.....	تقسيم دمان:
12.....	وجاهته عند المستعمر وجراءته عليه:
16.....	ملامح من وجاهته:
17.....	تصوفه وحبه للصالحين:
21.....	مدائح:
25.....	الخاتمة:
29.....	الملحق 1: شجرته النسبية.
30.....	الملحق 2: صورته:
31.....	مراجع المقال:
35.....	الفهرسة:

